

معاني الكلمات :

أولياء : أعوانا وأحباء .

ابتغاء : طلبا .

يتقفوكم : يظفروا بكم .

يسطوا إليكم : يمدوا إليكم .

أسوة : قدوة .

برآء : أبرياء .

أنبنا : رجعنا .

فتنة : مفتونين .



الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ - أن نستشعر حرمة موالة الكافرين بالنصرة والمودة دون المسلمين .

٢ - أن نعلم شدة العداوة من الكافرين للمؤمنين .

٣ - أن نتعرف على طريق الأنبياء والمؤمنين .

المحتوى التربوي :

تبدأ السورة بذلك النداء الودود الموحى ، نداء من ربهم الذى آمنوا به ، يدعوهم باسم الإيمان الذى ينسبهم إليه، يدعوهم ليصرهم بحقائق موقفهم ، ويحذرهم حبائل أعدائهم ، ويذكرهم بالمهمة الملقة على عاتقهم ، وفي مودة يجعل عدوهم عدوه وعدوه عدوهم ، فيشعر المؤمنون بأنهم منه وإليه ، يعاديهم من يعاديه ، فهم رجاله المنتسبون إليه الذين يحملون شارته في هذه الأرض ، وهم أولياؤه وأحباؤه ، فلا يجوز أن يلقوا بالمودة إلى أعدائهم وأعدائه .

ويذكرهم بجريرة هؤلاء الأعداء عليهم وعلى دينهم وعلى رسولهم ، وعدوانهم على هذا كله في تحجى وظلم ، فماذا أبقوا بعد هذه الجرائر الظالمة للموالة والمودة ؟ كفروا بالحق وأخرجوا الرسول والمؤمنين ، لا لشيء إلا لأنهم آمنوا بالله ربهم ؟

ويبرز القضية التي عليها الخلاف والخصومة والحرب ، فهي قضية العقيدة دون سواها ، قضية الحق الذي كفروا به والرسول الذي أخرجوه ، والإيمان الذي من أجله أخرجوهم ، وإذا تمحضت القضية هكذا وبرزت ، ذكرهم بأنه لا محل إذن للمودة بينهم وبين المشركين إن كانوا قد خرجوا من ديارهم ابتغاء رضوان الله وجهاداً في سبيله ، فما يجتمع في قلب أن يهاجر جهاداً في سبيل الله ابتغاء مرضات الله مع مودة لمن أخرجته من أجل إيمانه بالله ، وهو عدو الله وعدو رسوله .

ثم يحذرهم تحذيراً خفياً مما تكن قلوبهم ، وما يسرون به إلى أعدائهم وأعداء الله من المودة ، وهو مطلع على خفية القلوب وعلايتها ، ثم يهددهم تهديداً خفياً ، يثير في القلب المؤمن الوجع والمخافة ، وهل يخيفه شيء أكبر من أن يضل سواء السبيل بعد الهداية والوصول ؟ ! وهذا التهديد وذلك التحذير يتوسطان تبصير المؤمنين بحقيقة أعدائهم وما يضمرون لهم من الشر والكيد ، ثم نجى البقية ؛ فلا تعرض لهم فرصة يتمكنون فيها من المسلمين حتى يتصرفوا معهم تصرف العدو الأصيل ، ويوقعوا بهم ما يملكون من أذى ومن تنكيل بالأيدى وبالأسنة وبكل وسيلة وكل سبيل ، والأشد من هذا يودون أن يخسر المؤمن كنز الإيمان ويرتد إلى الكفر .

ويمضى السياق فيعالج مشاعر القرابة وشائجها المتأصلة ، والتي تشتجر في القلوب فتجرها جراً إلى المودة وتنسيها تكاليف التميز بالعقيدة ، فالمؤمن يعمل ويرجو الآخرة ، يزرع هنا وينتظر الحصاد هناك ، فلمسة قلبه بما يكون في الآخرة من تقاطيع وشائج القربى ، كلها إذا انقطعت وشيجة العقيدة ، من شأنها أن تهون عنده شأن هذه الشوائع في فترة الحياة الدنيا القصيرة ، وتوجهه إلى طلب الوشيجة الدائمة التي لا تنقطع في دنيا ولا في آخرة ، ومن ثم يقول لهم : قربابتكم لا تنفعكم عند الله إذا أراد بكم سوءاً ، ونفعهم لا يصل إليكم إذا أرضيتموهم بما يسخط الله ، ومن وافق أهله على الكفر ليرضيهم فقد خاب وخسر وضل عمله ، ولا ينفعه عند الله قربابه من أحد ، ذلك أن يوم القيامة يتم إثابة المؤمنين ومعاقبة العاصين ، والله مطلع على العمل الظاهر والنية وراءه في الضمير .

ويمضى السياق فيصل المسلمين بأول هذه الأمة الواحدة : أمة التوحيد ، وهذه القافلة الواحدة ، قافلة الإيمان ، فإذا هي ممتدة في الزمان متميزة بالإيمان ، متبرئة من كل ما يناق العقيدة ، إنها الأمة الممتدة منذ إبراهيم ، وفيه أسوة لا في العقيدة وحدها بل كذلك في السيرة ، وفي التجارب التي عاناها مع عاطفة القرابة ، ثم خلص منها هو ومن آمن معه ، وتجرد لعقيدته وحدها ، وينظر المسلم فإذا له نسب عريق ، وماض طويل ، وأسوة ممتدة على آمد الزمان ، فيشعر أن له رصيذاً من التجارب أكبر من رصيده الشخصي وأكبر من رصيده جيله الذي يعيش فيه ، فهؤلاء المؤمنون الواقفون تحت راية الله ، قد مروا بمثل ما يمر به ، فليس الأمر جديداً ولا مبتدعاً ولا تكليفاً يشق على المؤمنين ، وله أمة طويلة عريضة يلتقى معها في العقيدة ويرجع إليها إذا نبتت الروابط بينه وبين أعداء عقيدته .

مر إبراهيم والذين معه بالتجربة التي يعانها المسلمون المهاجرون ، وفيهم أسوة حسنة ؛ من مباينة الكفار ومعاداتهم ، وترك موالاتهم إلا في قول إبراهيم لأبيه : لأستغفرن لك ، فإنه لا أسوة لكم فيه في ذلك ، لأن ذلك كان من إبراهيم لأبيه عن مودة وعدها إياه قبل أن يتبين له أنه عدو لله ، فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه ، فكذاك أنتم أيها المؤمنون بالله تبرؤوا من أعداء الله المشركين به ، ولا تتخذوا منهم أولياء ، وأظهروا لهم العداوة والبغضاء ، حتى يؤمنوا بالله وحده ويتبرؤوا من عبادة ما سواه .

ولقد كان بعض المسلمين يجد في استغفار إبراهيم لأبيه المشرك ثغرة تنفذ منها عواطفهم الحبيسة ومشاعرهم الموصولة بذوى قرباهم من المشركين ، فجاء القرآن لشرح لهم حقيقة موقفه عليه السلام : فلقد قال هذا قبل أن يستيقن من إصرار أبيه على الشرك ، وهو يرجو إيمانه ويتوقعه ، وإبراهيم عليه السلام فوض الأمر كله لله ، وتوجه إليه بالتوكل والإنابة والرجوع إليه على كل حال ، وهذا التسليم المطلق لله ، هو السمة الإيمانية الواضحة في إبراهيم يبرزها هنا ليوجه إليها قلوب أبنائه المسلمين .

ويستطرد لهذا في إثبات بقية دعاء إبراهيم ونجواه لمولاه ؛ إذ يقولون : لو كان الإيوان يحمي أهله ما سلطنا عليهم وقهرناهم ، وهى الشبهة التى كثيراً ما تحيك في الصدور ، حين يتمكن الباطل من الحق ، ويتسلط الطغاة على أهل الإيوان - لحكمة يعلمها الله في فترة من الفترات ، والمؤمن يصبر للابتلاء ، ولكن هذا لا يمنعه أن يدعوا الله ألا يصيبه البلاء الذى يجعله فتنه وشبهة تحيك في الصدور .

ويأتى طلب المغفرة إدراكا منه لمستوى العبادة التى يستحقها منه ربه ، وعجزه ببشريته عن بلوغ المستوى الذى يكافئ به نعم الله وآلاءه ، ويمجد جلاله وكبريائه فيطلب المغفرة من ربه ؛ ليكون في شعوره وفي طلبه أسوة لمن معه ولمن يأتى بعده ، ويختم دعاءه وإنابته واستغفاره ، فيصف ربه بصفته المناسبة لهذا الدعاء ، فهو القادر على الفعل ، الحكيم فيما يمضى من تدبير .

ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

١ - على المؤمنين ألا تبقى في قلوبهم مودة للمشركين الذين يعتدون عليهم ويحاربونهم وينقضون عهدهم .

٢ - لا ينفع الإنسان يوم القيامة إلا عمله الصالح ، أما الأقارب والأصدقاء والأموال فلن ينفعوه بشيء .

٣ - أمة التوحيد أمة واحدة ممتدة في الزمان ، على المؤمنين أن يقتدوا بها في طريق حياتهم .

معاني الكلمات :

مودة : محبة وألفة .

تبروهم : تحسنوا إليهم وكرمواهم .

تقسطوا إليهم : تعدلوا معهم .

أن تولوهم : تتخذوهم أولياء .

أجورهن : مهورهن .

بعضم الكوافر : يعقود نكاح المشركات .

فاتكم شيء : انفلت أحد بردة .

فعاقتهم : فغزوتهم فغنمتم منهم .



الأهداف الإجرائية والسلوكية :

- ١ - أن تتعرف حكم الموالاة الممنوعة والمباحة في الإسلام .
- ٢ - أن تتعلم قواعد معاملة المؤمنات اللاتي يهاجرن من دار الكفر إلى دار الإيمان .
- ٣ - أن نعلم أن العقيدة هي الراية الوحيدة التي يقف تحتها المسلمون .

المحتوى التربوي :

في نهاية العرض لموقف إبراهيم والذين معه ، وفي استسلام إبراهيم وإنابته يعود فيقرر الأسوة ويكررها ، مع لمسة جديدة لقلوب المؤمنين ، فالأسوة في إبراهيم والذين معه متحققة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ، هؤلاء هم الذين يدركون قيمة التجربة التي عاناها هذا الرهط الكريم ، ويجدون فيها أسوة تتبع ، وسابقه تهدي ، فمن كان يرجو الله واليوم الآخر فليتخذ منها أسوة ، وأما من يريد أن يتولى عن هذا المنهج ، من يريد أن يجحد عن طريق القافلة ، فما بالله من حاجة إليه سبحانه ، فهو الغنى الحميد .

ويقرر السياق أن الإسلام دين سلام ، وعقيدة حب ، ونظام يستهدف أن يظل العالم كله بظله ، وأن يقيم فيه منهجه ، وأن يجمع الناس تحت لواء الله إخوة متعارفين متحابين ، وليس

هنالك من عائق يحول دون اتجاهه هذا إلا عدوان أعدائه عليه وعلى أهله ، فأما إذا سالوهم فليس الإسلام براغب في الخصومة ولا متطوع بها كذلك ، وهو حتى في حالة الخصومة يستبقى أسباب الود في النفوس بنظافة السلوك وعدالة المعاملة ، انتظاراً لليوم الذى يقتنع فيه خصومه بأن الخير فى أن ينضووا تحت لوائه الرفيع ، ولا ييأس الإسلام من هذا اليوم الذى تستقيم فيه النفوس ، فتتجه هذا الاتجاه المستقيم .

وفى الآية الأولى إشارة إلى هذا الرجاء الذى لا يغلب عليه اليأس ، فى معرض التخفيف على نفوس بعض المهاجرين ، وتغذية قلوبهم المتعبة بمشقة المقاطعة والحرب للأهل والعشيرة ، وهذا الرجاء معناه القطع بتحقيقه ، ولقد وقع بعد هذا بوقت قصير أن فتحت مكة ، وأن أسلمت قريش ، وأن وقف الجميع تحت لواء واحد ، كأن طويت الثارات وعاد الجميع إخوة مؤتلفى القلوب ؛ والله يفعل ما يريد بلا معقب ، ويغفر ما سلف من الشرك والذنوب .

وإلى أن يتحقق وعد الله الذى دل عليه لفظ الرجاء رخص الله لهم فى مادة من لم يقاتلوهم فى الدين ولم يخرجوهم من ديارهم ، ورفع عنهم الحرج فى أن يبروهم ، وأن يتحروا العدل فى معاملاتهم معهم فلا يبخسوا من حقوقهم شيئاً ، ولكنه نهى أشد النهى عن الولاء لمن قاتلوهم فى الدين وأخرجوهم من ديارهم وساعدوا على إخراجهم ، وحكم على الذين يتولونهم بأنهم هم الظالمون ، وتلك القاعدة فى معاملة غير المسلمين هى أعدل القواعد التى تتفق مع طبيعة هذا الدين ووجهته ونظيرته إلى الحياة الإنسانية بل نظيرته الكلية لهذا الوجود ، الصادر عن إله واحد المتجه إلى إله واحد ، وهى أساس شريعته الدولية ، التى تجعل حالة السلم بينه وبين الناس جميعاً هى الحالة الثابتة ، لا يغيرها إلا وقوع الاعتداء الحربى وضرورة رده ، أو خوف الخيانة بعد المعاهدة ، أو الوقوف بالقوة فى وجه حرية الدعوة وحرية الاعتقاد .

يقول صاحب الأساس : « قال ابن كثير : إنما ينهاكم عن موالاته هؤلاء الذين ناصبوك بالعداوة فقاتلوهم وأخرجوكم وماتوا على إخراجكم ، ينهاكم الله عز وجل عن موالاتهم ويأمركم بمعاداتهم ، فمواطنون من غير المسلمين إذا لم يدخلوا فى صراع معنا أو قتال وإذا لم يذلولوا جهداً من أجل إخراجنا من بلادنا فهؤلاء يجوز البر لهم والعدل فيهم ، أما الولاء لهم فلا ، وأعظم مظاهر الولاء فى عصرنا الدخول معهم فى حزب واحد ، يعطيهم المسلم من خلاله الولاء ويحجبه عن المسلمين ، وأما الذين يريدون استئصال ديننا وفتنتنا عنه فهؤلاء لا ولاء لهم بل عدا ، لأن الفتنة أكبر من القتل ، ومن ثم فالعمل الإسلامى المعاصر يجب أن يحدد علاقته ومواقفه من هؤلاء وأولئك » .

وهذه هى القاعدة التى تتفق مع التصور الإسلامى الذى يجعل القضية بين المؤمنين ومخالفهم هى قضية هذه العقيدة دون غيرها ، ويجعل القيمة التى يضمن بها المؤمن ويقاتل دونها هى قضية العقيدة وحدها ، فليس بينهم وبين الناس ما يتخاصمون عليه ، ويتقاتلون إلا حرية الدعوة وحرية الاعتقاد ، وتحقيق منهج الله فى الأرض وإعلاء كلمة الله ، فالعقيدة هى الرابة

الوحيدة التي يقف تحتها المسلمون ، فمن وقف معهم تحتها فهو منهم ، ومن قاتلهم فيها فهو عدوهم ، ومن سالمهم فتركهم لعقيدتهم ودعوتهم ولم يصد الناس عنها ، ولم يحل بينهم وبين سماعها ، ولم يفتن المؤمنين بها ، فهو مسلم لا يمنع الإسلام من البر به والقسط معه .

ولما كان الرسول ﷺ والمسلمون معه بأسفل الحديبية ، جاءته نساء مؤمنات يطلبن الهجرة والانضمام إلى دار الإسلام في المدينة ، أو جاءت قريش تطلب ردهن تنفيذاً للمعاهدة ، ونزلت أحكام هذه الحالة الدولية ، تنظم التعامل فيها على أعدل قاعدة تتحرى العدل في ذاته دون تأثر بسلوك الفريق الآخر ، وأول إجراء هو امتحان هؤلاء المهاجرات لتحرى سبب الهجرة ، فلا يكون تخلصاً من زواج مكروه ، ولا طلباً لمنفعة ، ولا جرياً وراء حب فردي في دار الإسلام ، وهذا الامتحان كان يعتمد على ظاهر حالهن ، وإقرارهن مع الحلف بالله ، فأما خفايا الصدور فأمرها إلى الله ، لا سبيل للبشر إليها ، فإذا ما أقررن هكذا فلا تردوهن إلى الكفار ، لانقطاع النكاح بينهما .

قال ابن كثير : « وهذه الآية هي التي حرمت المسلمات على المشركين ، وقد كان جائزاً في ابتداء الإسلام أن يتزوج المشرك المؤمنة .

ويقرر السياق إعطاء المشركين الذين جاءت نساؤهم مؤمنات ، ولم يرجعهن إليهم - ما أنفقوا في نكاحهم إياهن من الصداق ، وإذا أعطيتوهن أصدقتهن فأنكحوهن بشرطه من انقضاء العدة والولى وغير ذلك ، ثم أشار إلى أنه كما بطل نكاح المؤمنة على الكافر ، بطل نكاح الكافرة على المسلم ، ولا تمسكوا أيها المؤمنون بحبال النساء الكوافر وأسبابهن ، واطلبوا أيها المؤمنون الذين ذهبت أزواجهم فلحقن بالمشركين ما أنفقتم على أزواجكم اللواتي لحقن بهن من الصداق ، مَنْ تزوجن منهم ، وليسألكن المشركون منهم ، الذين لحق بكن أزواجهن مؤمنات ، إذا تزوجن فيكن ، مَنْ تزوجها منهم ، ما أنفقوا عليهن من الصداق ، وهذا الحكم الذى حكم به من أمر المؤمنين بمسألة المشركين ما أنفقوا وأمر المشركين بمثل ذلك ، حكم الله الذى لا يعدل عنه .

ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

١ - حالة السلم بين المسلم والناس جميعاً هي الحالة الثابتة ، لا غيرها إلا وقوع الاعتداء الحربى وضرورة رده أو خوف الخيانة بعد المعاهدة أو الوقوف بالقوة في وجه حرية الدعوة وحرية الاعتقاد .

٢ - لا يحل للمؤمنة أن تتزوج بكافر أو مشرك ، ولا للمؤمن أن يتزوج بكافرة أو مشركة .

٣ - للنساء مثلاً للرجال من حقوق ، وعليهن مثلاً على الرجال من واجبات ، فالشريعة الإسلامية لم تفرق بينها في شيء إلا بما تقتضيه طبيعة كل منهما ورسالته في الحياة .

معانى الكلمات :

بيهتان : بالصاد اللقطاء بالأزواج .

يفترينه : يختلقنه .

لا تتولوا : لا تتخذوا أولياء .

كبر مقتا : عظم بغضا بالغ الغاية .

صفا : صافين أنفسهم أو مصفوفين .

بنيان مرصوص : متلاصق محكم لا فرجة فيه .

زاعوا : مالوا باختيارهم عن الحق .

أزاع الله قلوبهم : حرمهم التوفيق لاتباع الحق .



الأهداف الإجرائية والسلوكية :

- ١ - أن نتعرف على حكم مبايعة النساء للرسول ﷺ، وشروط هذه البيعة .
- ٢ - أن نستشعر تمجيد الكون كله لله - تعالى - وكبر التناقض بين القول والفعل .
- ٣ - أن نعلم بعض المراحل التي مر بها منهج الله للبشرية حتى وصل إلى صورته الأخيرة ، وهي رسالة الإسلام التي جاء بها محمد ﷺ .

المحتوى التربوي :

بيّن الرسول الله ﷺ كيف يبايعهن على الإيمان ، هن وغيرهن ممن يردن الدخول في الإسلام ، وعلى أى الأسس يبايعهن ، وهذه الأسس هي المقومات الكبرى للعقيدة ، كما أنها مقومات الحياة الاجتماعية الجديدة ، إنها عدم الشرك بالله إطلاقاً ، وعدم إتيان الحدود ، السرقة والزنا ، وعدم قتل الأولاد ، إشارة إلى ما كان يجري في الجاهلية من وأد البنات ، كما أنه يشمل قتل الأجنة لسبب من الأسباب وهن أمينات على ما في بطونهن ، ولا يلحقن بأزواجهن غير أولادهن ، والشرط الأخير يشمل الوعد بطاعة الرسول ﷺ في كل ما يأمرهن به ، وهو لا يأمر إلا بمعروف ،

ولكن هذا الشرط ، هو أحد قواعد الدستور في الإسلام ، وهو يقرر أن لا طاعة مطلقة لولى الأمر في كل أمر ، وهى القاعدة التى تجعل قوة التشريع والأمر مستمدة من شريعة الله ، فإذا بايعن على هذه الأسس الشاملة قبلت بيعتهن ، واستغفر لهن الرسول ﷺ عما سلف ، والله يغفر ويرحم ويقيّل العثرات .

وفى الختام يحىء اهتاف للذين آمنوا باسم الإيمان ، وبالصفة التى تميزهم عن سائر الأقوام ؛ إذ تصلهم بالله وتفصلهم عن أعداء الله اليهود والمشركين وكل أعداء الله ، وكلهم غضب عليه الله ، وكلهم يائس من الآخرة ، لا يعلق بها رجاء ، ولا يحسب لها حساباً كيأس الكفار من الموتى أصحاب القبور لا اعتقادهم أن أمرهم انتهى ، وما عاد لهم من بعث ولا حساب .

سورة الصف

يحىء التسبيح من الوجود كله الله العزيز الحكيم فى مطلع السورة التى تعلن للمسلمين أن دينهم هو الحلقة الأخيرة فى دين الله ، وأنهم هم الأمانة على هذا الدين الذى يوحد الله ، وينكر على الكافرين المشركين كفرهم وشركهم والذى يدعوهم للجهاد لنصرته ، وقد قدر الله أن يظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، فيوحى هذا المطلع أن الأمانة التى يقوم عليها المسلمون هى أمانة الوجود كله .

ثم يعاتب الله الذين آمنوا عتاباً شديداً على أمر حدث من طائفة منهم ، أمر يكرهه الله أشد الكره ، ويمقته أكبر المقت ، ويستفظعه من الذين آمنوا على وجه الخصوص ؛ لأن الكذب ينافى المروءة التى هى من مبادئ الإيمان فضلاً عن كماله ، إذ الإيمان الأصلى هو الرجوع إلى الفطرة الأولى ، والدين القيم ، وهى تستلزم أجناس الفضائل بجميع أنواعها ، التى أقل درجاتها العفة المقتضية للمروءة ، والكاذب لا مروءة له ، فلا إيمان له حقيقة ، فالآية تبدأ بعتاب على حادث وقع أو حوادث ، وتثنى باستنكار لهذا الفعل ، وهذا الخلق فى صيغة تضخم استنكار المقت الذى يكبر عند الله ، هو أكبر المقت وأشد البغض وأنكر المنكر ، وهذا غاية فى تفضيع الأمر ، وبخاصة فى ضمير المؤمن ، الذى ينادى بإيمانه ، والذى يناديه ربه الذى آمن به ، والآية الثالثة تشير إلى الموضوع المباشر الذى قالوا فيه ما لم يفعلوا ، وهو الجهاد ، وتقرر ما يحبه الله فيه ويرضاه ، فليس هو مجرد القتال ولكنه هو القتال فى سبيله ، والقتال فى تضامن مع الجماعة المسلمة داخل الصف ، والقتال فى ثبات وصمود .

يقول صاحب الظلال : « إن القرآن فى هذا الجزء كان يبنى أمة ، كان يبينها لتقوم على أمانة دينه فى الأرض ومنهجه فى الحياة ، ونظامه فى الناس ، ولم يكن بد أن يبنى نفوسها أفراداً وبينها جماعة ، وبينها عملاً واقعا ، كلها فى آن واحد ، فالمسلم لا يبنى فرداً إلا فى جماعة ، ولا يتصور